المحور الثالث: الآيات (21–30): أحوال الأشقياء في جهنم ، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠) ﴾ [النبأ: 21-30]

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما ذكر تعالى بعض ما سيقع في يوم الفصل من أهوال، ناسب أن يذكر ما أعده لمن كذّب به من عذاب أليم ليُخاف منه، فابتدأ بذكر أهل جهنم لأن المقام مقام تهديد للمكذبين بالبعث[1] .

غريب الألفاظ الواردة في الآيات:

1-{ مرصادا} : اسم بمعنى الطريق جاء على وزن صيغة المبالغة من الثلاثيّ رصد بمعنى رقب، أي: هي راصدة الكافرين تترقّبهم، أو هي مرصدة لهم ومعدّة لتعذيبهم[2] ، ومَعْنَى الْمِرْصَادِ مُقْتَرِبٌ مِنْ مَعْنَى الْمِيقَاتِ إِذْ كِلَاهُمَا مُحَدِّدٌ لِجَزَاءِ الطَّاغِينَ[3]

2- { للطاغين} أي المجاوزين لحدود الله، والْمُرَادُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ[4].

3- {مآباً } أي: مرجعاً ومأوى؛ فالمعنى جهنم هي مَكَانُ الْأَوْبِ وَهُوَ الرُّجُوعُ، أُطْلِقَ عَلَى الْمَقَرِّ وَالْمَسْكَنِ.[5]

4- {لابثين فيها أحقابًا}: وَاللَّابِثُ: الْمُقِيمُ بِالْمَكَانِ[6].

4- {لابثين فيها أحقابًا}: جمع حقبٍ، وحقب جمع حقبة، ومدة الحقبة اختلف فيها هل هو محدد بمدة أم لا فقيل هو محدد بألف شهر. وقيل: ثلاثون ألف سنة. وقيل: ثمانون سنة. وقيل: ثلاثمائة سنة. وقيل إن الحُقُب لا حَدّ له[7] . والمعنى المراد: التأبيد؛ أي: حال كونهم لابثين فيها دهورًا متلاحقة يتبع بعضها بعضًا، فكلما انقضى زمن .. يتجدد لهم زمن آخر، ما قال تعالى: {يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (37)}[8].

---

1 التحرير والتنوير، (30/ 34) .

2 الجدول في إعراب القرآن (30/ 220)

3 الجدول في إعراب القرآن (30/ 220)

4 . التحرير والتنوير 30/ 36

5 . التحرير والتنوير 30/ 36

6 . التحرير والتنوير 30/ 36

7 موسوعة التفسير المأثور 22/ 618.

8 تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن 31/ 28

5- {**برداً**} برودة الهواء، وقيل المراد به النوم، والقول الأول هو الصحيح لأنه هو المشهور في كلام العرب[9].

6 - {وَلا شَراباً} الشَّرَابُ: مَا يُشْرَبُ؛ وَالْمُرَادُ بِهِ الْمَاءُ الَّذِي يُزِيلُ الْعَطَشَ[10].

7- { **إِلَّا حَمِيماً**} الحميم: الماء الشديد الحرّ والغليان.

8- {وَغَسَّاقاً} قيل هو: ما يَسيل مِن جلود أهل النار من الصديد. وقيل هو: الزمهرير وهو البرد الشديد؛ وقيل هو : المنتِن[11]؛ ويمكن الجمع بينها بأنها كلها مراد قال الطبري:" هو السائل من الزمهرير في جهنم، الجامع مع شدة بَرده النَّتن".

9- {وفاقا}، أي جزاء موافقا لسوء أعمالهم [12] .

10- {**لا يرجون**} أي: لا يخافون سوء الحساب؛ وقيل المعنى لا يرجونه ولا يخافونه؛ وحذف الخوف لأنه من لازم الرجاء فلا رجاء بلا خوف[13].

{**حسابا**}َ الْحِسَابُ: الْعَدُّ، أَيْ عَدُّ الْأَعْمَالِ وَالتَّوْقِيفُ عَلَى جَزَائِهَا، أَيْ لَا يَرْجُونَ وُقُوعَ حِسَابٍ عَلَى أَعْمَالِ الْعِبَادِ يَوْمَ الْحَشْرِ[14] .

{كِذَّابًا} أي تكذيباً مفرطًا، هو أحد مصادر المشدد؛ لأن مصدره قد يجيء على تفعيل، مثل: التكليم، وعلى فعال، مثل كِذّاب، وعلى تفعلة، مثل؛ توصية، وعلى مُفَعَّل، مثل: {وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ}[15]

11- {**أحصيناه**} أي: حفظناه، وضبطناه مكتوبا في اللوح المحفوظ [16] .

القراءات الواردة في الآيات[17]:

{**لبثين**} قرأ حمزة وروح بلا ألف {لَبِثِين} بحمله على الصفة المشبهة، وهي تدل على الثبوت فاللبث الذي صار له اللبث سجية كحذر وفرح، والباقون بالألف {لابِثِين} اسم فاعل من لبث أقام.

{غَسَّاقًا} [الآية: 25] قرأها بتشديد السين حفص وحمزة والكسائي وخلف والباقون بالتخفيف.

---

9 تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار ص27.

10 عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (1/ 436) التحرير والتنوير 30/ 37.

11 اموسوعة التفسير المأثور 22/ 622 التفسير المنير للزحيلي (30/ 16) .

12 غريب القرآن، (ص: 489) .

13 قال ابن عطية: «وقال غيره: الرجاء هنا على بابه، ولا رجاء إلا وهو مُقترن بخوف، ولا خوف إلا وهو مُقترن برجاء، فذكر أحد القسمين لأنّ المقصد العبارة عن تكذيبهم كأنه قال: إنهم كانوا لا يُصدِّقون بالحساب، فلذلك لا يَرجونه ولا يَخافونه». موسوعة التفسير المأثور 22/ 625.

14 التحرير والتنوير 30/ 40

15 التفسير البسيط 23/ 135. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن 31/ 32

16 السراج في بيان غريب القرآن، (ص: 384) .

17 إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص569. الحجة في القراءات السبع (ص: 361) . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – دار الكتب العلمية (5/ 399) .

{وَلا كِذَّابًا} [الآية: 35] فالكسائي بتخفيف الذال مصدر كاذب كقاتل قتالا أو مصدر كذب ككتب كتابا، والباقون بتشديدها مصدر كذب تكذيبا وكذابا.

بلاغة الآيات:

– **الالتفات** في قوله تعالى ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا ﴾ انتقل الخطاب من الغائب إلى المخاطب على طريق الالتفات للمبالغة لتقدير إحضارهم وقت الأمر، قال الألوسي :"ليخاطبوا بالتقريع والتوبيخ وهو أعظم في الإهانة والتحقير.

– جِيءَ بِفِعْلِ يَرْجُونَ مُضَارِعًا لِلدِّلَالَةِ عَلَى اسْتِمْرَارِ انْتِفَاءِ مَا عُبِّرَ عَنْهُ بِالرَّجَاءِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كُلَّمَا أُعِيدَ لَهُمْ ذِكْرُ يَوْمِ الْحِسَابِ جَدَّدُوا إِنْكَارَهُ وَكَرَّرُوا شُبُهَاتِهِمْ عَلَى نَفْيِ إِمْكَانِهِ لِأَنَّهُمْ قَالُوا: إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَما نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ [الجاثية: 32] [18].

– الْإِحْصَاءُ: حِسَابُ الْأَشْيَاءِ لِضَبْطِ عَدَدِهَا، فَالْإِحْصَاءُ كِنَايَةٌ عَنِ الضَّبْطِ وَالتَّحْصِيلِ.

– انْتُصِبَ كِتاباً عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ لِ أَحْصَيْناهُ وَالتَّقْدِيرُ: إِحْصَاءَ كِتَابَةٍ، فَهُوَ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْكِتَابَةِ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ شِدَّةِ الضَّبْطِ لِأَنَّ الْأُمُورَ الْمَكْتُوبَةَ مَصُونَةٌ عَنِ النِّسْيَانِ وَالْإِغْفَالِ. [19].

–{فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلاّ عَذاباً} الْمَعْنَى: فَسَنَزِيدُكُمْ عَذَابًا زِيَادَةً مُسْتَمِرَّةً فِي أَزْمِنَةِ الْمُسْتَقْبَلِ، فَصِيغَ التَّعْبِيرُ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى بِهَذَا التَّرْكِيبِ الدَّقِيقِ، إِذِ ابْتُدِئَ بِنَفْيِ الزِّيَادَةِ بِحَرْفِ تَأْبِيدِ النَّفْيِ وَأُرْدِفَ الِاسْتِثْنَاءُ الْمُقْتَضِي ثُبُوتَ نَقِيضِ حُكْمِ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ لِلْمُسْتَثْنَى فَصَارَتْ دِلَالَةُ الِاسْتِثْنَاءِ عَلَى مَعْنَى:سَنَزِيدُكُمْ عَذَابًا مُؤَبَّدًا. وَفِي هَذَا الْأُسْلُوبِ ابْتِدَاءٌ مُطْمِعٌ بِانْتِهَاءٍ مُؤْيِسٍ وَذَلِكَ أَشَدُّ حُزْنًا وَغَمًّا بِمَا يُوهِمُهُمْ أَنَّ مَا أُلْقُوا فِيهِ هُوَ مُنْتَهَى التَّعْذِيبِ حَتَّى إِذَا وَلَجَ ذَلِكَ أَسْمَاعَهُمْ فَحَزِنُوا لَهُ، أُتْبِعَ بِأَنَّهُمْ. يَنْتَظِرُهُمْ عَذَابٌ آخَرُ أَشَدُّ، فَكَانَ ذَلِكَ حُزْنًا فَوْقَ حَزْنٍ، فَهَذَا مِنْوَالُ هَذَا النَّظْمِ وَهُوَ مُؤَذِّنٌ بِشِدَّةِ الْغَضَبِ[20]..

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَأَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أَشَدُّ مَا نَزَلَ فِي أَهْلِ النَّارِ. [21].

الإعراب:

(**جَزاءً وِفاقا**) (جزاء): مصدر منصوب بفعل محذوف، أي:جُوزُوا بذلك جزاء.

{**وَكُلَّ شَيْءٍ**}؛ أي: وأحصينا كل شيء من الأشياء التي من جملتها أعمالهم، فانتصابه على الاشتغال بفعل محذوف وجوبًا يفسره قوله: {أَحْصَيْنَاهُ} [22]..

---

[18] التحرير والتنوير 30/ 40

[19] التحرير والتنوير 30/ 40

[20] . التحرير والتنوير 30/ 41 – 43

[21] . التحرير والتنوير 30/ 41 – 43

[22] . تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن 31/ 33

-انتصاب {كِتَابًا} على المصدرية؛ لأنه مصدر مؤكد لـ {أَحْصَيْنَاهُ} من غير لفظه لما أن الإحصاء والكتابة من واد واحد؛ أي: يشتركان في معنى الضبط، فكأنه قال: وكل شيء أحصيناه إحصاءً مساويًا في القوة والثبات بالعلم المقيد بالكتابة، أو كتبناه كتابًا، وأثبتناه إثباتًا[23].

- قوله: {إِلَاّ حَمِيماً} : يجوزُ أَنْ يكونَ استثناءً متصلاً من قولِه «شَراباً» وهذا واضِحٌ. والثاني: أنَّه منقطعٌ. قال الزمخشري: «يعني لا يذُوقون فيها بَرْداً ولا رَوْحاً يُنَفِس عنهم حَرَّ النارِ، ولا شَراباً يُسَكِّن مِنْ عَطَشِهم، ولكنْ يَذُوقون فيها حميماً وغَسَّاقاً» الثالث: أنه بدلٌ مِنْ قولِه «ولا شراباً» ، وهو الأحسنُ لأنَّ الكلامَ غيرُ موجَبٍ.[24]..

المعنى الإجمالي للآيات[25].:

ثم ذكر الله تعالى ما يلاقيه المكذبون الضالون الأشقياء يومئذ بقوله: {إِنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً، لِلطّاغِينَ مَآباً، لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً} أي إن نار جهنم كانت في حكم الله وقضائه مرصدة معدّة للطغاة وهم المردة العصاة المخالفون للرسل، ومرجعا ومصيرا ماكثين فيها ما دامت الدهور. والأحقاب: وهي المدة الطويلة من الزمان، إذا مضى حقب دخل آخر، وهكذا إلى الأبد.

{لا يَذُوقُونَ فِيها بَرْداً وَلا شَراباً إِلاّ حَمِيماً 1 وَغَسّاقاً، جَزاءً وِفاقاً} أي لا يذوقون في جهنم أو في الأحقاب بردا ينفعهم من حرها، ولا شرابا ينفعهم من عطشها إلا الحميم: وهو الماء الحار الشديد الغليان، والغساق: وهو صديد أهل النار، وهذا العذاب موافق الذنب العظيم الذي ارتكبوه نوعا ومقدارا، فلا ذنب أعظم من الشرك، ولا عذاب أعظم من النار، وقد كانت أعمالهم سيئة، فجوزوا بمثلها، كما قال تعالى: {وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها} [الشورى 40/ 42]. وبعد أن شرح أنواع عقوبة الكفار، بين أنه جزاء حق وعدل موافق لأعمالهم. ثم عدد الله تعالى أنواع جرائمهم، {إِنَّهُمْ كانُوا لا يَرْجُونَ حِساباً، وَكَذَّبُوا بِآياتِنا كِذّاباً} أي إنهم اقترفوا الأعمال السيئة والقبائح المنكرة؛ لأنهم لا يطمعون في ثواب، ولا يخافون من حساب؛ لأنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث. فقوله: {إِنَّهُمْ كانُوا لا يَرْجُونَ حِساباً} أي لا يخافون أو لا يتوقعون حسابا: علة التأبيد في العذاب. وكذبوا بالآيات القرآنية وبالبراهين الدالة على التوحيد والنبوة والمعاد تكذيبا شديدا. وهذا إشارة إلى فساد عقائدهم، حتى جحدوا الحق وكذبوا الرسل. ثم أخبر الله تعالى عن إحصاء جميع أعمالهم بقوله: {وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ كِتاباً} أي إننا علمنا جميع أعمال العباد، وكتبناها عليهم، ثم ذكر ما يقال لهم في التعذيب تقريعا وتوبيخا لهم: {فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلاّ عَذاباً} أي: ذوقوا ما أنتم فيه من العذاب الأليم، فلن نزيدكم إلا عذابا من جنسه. قال عبد

---

[23] . تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن 31/ 33

[24] . الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 10/ 658

[25] . التفسير المنير – الزحيلي 30/ 19

الله بن عمرو: لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه الآية: {فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلاّ عَذاباً} فهم في مزيد من العذاب أبدا.

الأحكام والفوائد المستنبطة من الآيات:

- جهنم هي مرصد الطغاة ترصدهم وتراقبهم حتى ينزلوا فيها، فهي كالمنتظرة لقدومهم لأنهم تكبروا.

- خلود الطاغين في النار: فهم ماكثون فيها إلى الأبد ما دامت الأحقاب تتوالى وهي لا تنقطع فكلما مضى حقب جاء حقب. {فلن نزيدكم إلا عذابا}

والمقصود بأصحاب النار هنا الكفار المشركون بدلالة {إنهم كانوا لا يرجون ....وكذبوا ...} ودلالة السياق

أما دخول أهل الكبائر النار فإنه ليس دخول خلود قوله تعالى: {قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} [الأنعام/ 128].وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة الكثيرة أن بعض أهل النار يخرجون منها، وهم أهل الكبائر من الموحدين[26].

- لا يذوق الطغاة في جهنم بردا يخفف الحر أو نوما، ولا شرابا يروي من العطش إلا الماء الحار والغساق: صديد أهل النار.

- الجزاء كان على وفق جرمهم فهو موافق لأعمالهم{جزاء وفاقا}.

5- من أنكر الآخرة، لم يقدم على شيء من المستحسنات، ولم يحجم عن شيء من المنكرات؛ فان الايمان هو الذي يمنع الجرم ويدعو للاحسان[27].

6- الآية دليل على أن جهنم مخلوقة؛ لأن قوله: {مِرْصاداً} أي معدّة، ومثلها الجنة أيضا إذ لا فرق بينهما وقد ورد ذلك في أحاديث كثيرة من سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

7- يجب أن يعتبر الإنسان فيعمل، وأن يلتفت إلى الحياة الدنيا مهما طال البقاء فيها، مهما عُمّر، لأنها لا تساوي شيئاً أمام المليارات، وأمام شيء بلا انقضاء، {ويقسم المجرمون يوم القيامة أنهم ما لبثوا شيئاً يذكر، وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ} [سورة الروم:55]، فإذا كان الأمر كذلك، المسألة مسألة ساعة، يقول ابن حزم الأندلسي: لو أن العاقل خير بين أمرين:

الأول: له طريق واسع فيه من الثمار والأزهار.والثاني طريق واسع يفضي إلى مكان ضيق.

والثاني: طريق ضيق يفضي إلى بحبوحة من العيش وسعة.

فأي طريق يختار.

---

[26] دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص133 ط عطاءات العلم

[27] التفسير المنير للزحيلي (30/ 20)، أيسر التفاسير للجزائري (5/ 504)